الآفة السابعة والعشرون
تنافس الدنيا

والآفة السابعة والعشرون التى يمكن أن تصيب العاملين لدين الله، بل لقد أصابت بالفعل نفرًا منهم، وخلفت وراءها آثارا خطيرة وعواقب مهلكة إنما هى «تنافس الدنيا».

وحتى يداوى منها من أصيب بها، ويسلم من شرها وغوائلها من عافاه الله ـ عز وجل ـ منها، فإننا سنعطى تصورا صحيحا وواضحا عنها من خلال هذه الجوانب :

أولا : تعريف تنافس الدنيا :

« تنافس الدنيا » مركب إضافى مؤلف من كلمتين هما : « تنافس » و « دنيا »، والأمر يقتضى معرفة ماهية كل منهما على حدة، كى يسهل تعريف هذا المركب «تنافس الدنيا »، ودونك ذلك :

التنافس لغة : يأتى التنافس فى اللغة على معان، منها :

أ ـ محبة الشىء، والرغبة فيه، وأصله من الشىء النفيس فى نوعه يقال : نافست فى الشىء منافسة، ونفاسة، ونفاسا، ونفس الشىء بالضم نفاسة، صار مرغوبا فيه محبوبا .

ب ـ الضن بالشىء أو البخل به، يقال : نفست عليه الشىء بالكسر أنفسه نفاسة: ضننت أو بخلت عليه به، وما أحب أن يصل إليه .

جـ ـ رؤية الغير فاقد الأهلية للشىء مع حسده عليه، نقول : تنافس الشىء، وبالشىء على فلان : لم يره أهلا لهذا الشىء وحسده عليه .

د ـ التسابق، والتبارى فى الشىء من غير إلحاق الضرر به ـ أى بالمتنافس ـ نقول: نافس فلان فلانا فى كذا: سابقه وباراه من غير أن يلحق الضرر به، وتنافس القوم فى كذا: تسابقوا فيه، وتباروا دون أن يلحق بعضهم الضرر ببعض[1]، ومنه قوله سبحانه: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾ [المطففين] .

---

(١) انظر: لسان العرب ٦ / ٢٣٨، ومختار الصحاح ص ٤٥١، ٤٥٢، والمعجم الوسيط ٢ / ٩٤٠، مادة : « نفس »، وانظر كذلك : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووى ٥ / ٤٢٧، وفتح البارى لابن حجر العسقلانى ١١ / ٢٤٥ بتصرف كثير .

ولا تعارض بين هذه المعانى جميعا فإن رؤية الغير ليس أهلا للشىء أو للأمر قد تحمل أو تقود إلى التسابق والتبارى فى تحصيله رغبة فيه، ومحبة له، وضنا به على هذا الغير .

« **الدنيا** » **لغة** : والدنيا لغة، مؤنث الأدنى، يعنى : الأقرب الألصق، يقال : هو ابن عمى دنيا (منون، وغير منون) قريب لاصق النسب، ثم صارت تطلق على الحياة الحاضرة أو العاجلة التى تسبق الحياة الغائبة أو الآجلة، وسميت بذلك لدنوها، أى لقربها منا، إذ يقال : دنا من الشىء دناوة، فهو دان : قرب، أو لخستها، وحقارتها، إذا طلبت لذاتها، يقال : هذا دنىء : خسيس دون، أو لنقص وقصر عمرها فى جنب عمر الآخرة، نقول : أعطى الدنية فى دينه : النقيصة [١] .

« **تنافس الدنيا** » **لغة** : وإذ عرفنا معنى كل من: « التنافس » و « الدنيا » على حدة، ونقول: إن « تنافس الدنيا » لغة : رؤية الغير أنه ليس أهلا للدنيا بصورة تحمل على التسابق والتبارى فى تحصيلها، رغبة فيها، ومحبة لها، وضنا بها على هذا الغير .

« **تنافس الدنيا** » **اصطلاحا** : أما « تنافس الدنيا » اصطلاحا فهو ـ كما يقول الإمام النووى ـ رحمه الله ـ : «التبارى فى الرغبة فى الدنيا، وأسبابها وحظوظها » [٢] ، ولعله يريد : « على وجه الانفراد، والاستئثار بها » على نحو ما جاء لغة، وواضح من هذا التعريف أنه لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوى .

ثانيا : بعض مظاهر تنافس الدنيا وموقف الإسلام من هذا التنافس :

وهناك مظاهر وسمات تدل على تنافس الدنيا، وأهم هذه المظاهر وتلك السمات:

١ ـ إهمال أو إهدار الورع فى المطاعم، والمشارب، والملابس، والمراكب ونحوها.

٢ ـ بغض طلاب الآخرة، والنيل منهم، بل والتظاهر والتحريض عليهم بوسيلة أو بأخرى .

٣ ـ بغض أو معاداة كل من يسبقه فى الدنيا، ولا يستطيع اللحاق به .

٤ ـ ازدراء نعمة الله وعدم الرضى بها وبقضاء الله وقدره .

٥ ـ المخاصمة المستمرة على الدنيا وما فيها من متاع أو عرض زائل .

---

(١) انظر : لسان العرب ١٤ / ٢٧١ ـ ٢٧٥، والمعجم الوسيط ١ / ٢٩٨، ٢٩٩ بتصرف كثير .

(٢) انظر : المنهاج للنووى ٥ / ٤٢٧، وعنه نقل ابن حجر فى فتح البارى ١١ / ٢٤٥ .

٦ ـ التشتت الدائم مع كثرة الهموم والأحزان ، ولا سيما عند فوات شيء من الدنيا .

٧ ـ الاشتغال الدائم بالسعى فى طلب الدنيا مع نسيان الآخرة بالمرة أو مع تذكرها، ولكن بتهاون وفتور .

٨ ـ الحديث الدائم عن الدنيا ، وزخارفها ، وزيناتها ، وسبل اقتناصها . . . وهلم جرًا .

وتنافس الدنيا للدنيا مع نسيان أو إهمال الآخرة قبيح مذموم، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب والسنة .

أما نصوص الكتاب فقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(١٥) ﴾ [الملك]. ﴿ وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾ [المطففين]. ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾ [الصافات] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴾ [الجمعة] . ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣) ﴾ [آل عمران]. ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِى الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾

[الحديد]

إن هذه النصوص حين تتحدث عن الآخرة، تدعو صراحة إلى المنافسة والمسارعة، والمسابقة، والسعى، وحين تتحدث عن الدنيا تدعو صراحة إلى المشى الهوينا،والانتشار فى الأرض، وعدم التكالب أو التنافس فى طلب هذه الدنيا .

ومن نصوص الكتاب ـ كذلك ـ قوله سبحانه : ﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الحجر : ٨٨] . ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾ [طه] .

يقول ابن كثير ـ رحمه الله : «يقول تعالى لنبيه محمدﷺ لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم، ونظراؤهم فيه من النعيم، فإنما هى زهرة زائلة، ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادى الشكور »(١) .

وأما نصوص السنة النبوية فقولهﷺ : « فأبشروا، وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»(٢) ، «إذا فتحت عليكم فارس والروم، أى قوم أنتم؟»، قال عبد الرحمن ابن عوف: نقول كما أمرنا الله (٣) ، قال رسول اللهﷺ : « أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون فى مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»(٤) ، « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه من المال ، والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه » (٥) ، « انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله »(٦) .

---

(١) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٤٩٩ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجزية والموادعة : باب منه ٤/١١٧، ١١٨، وكتاب المغازى: باب منه ٥/١٠٨، وكتاب الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ٨/١١٢، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب منه ٤/٢٢٧٣ رقم(٢٩٦١)، والترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب(٢٨) ٤/ ٥٥٢، ٥٥٣ رقم(٢٤٦٢) وعقب الترمذى على روايته بقوله: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الفتن: باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٤، ١٣٢٥رقم(٣٩٩٧) وأحمد فى : المسند ٤/١٣٧، ٣٢٧ كلهم من حديث عمرو بن عوف الأنصارى ـ وهو حليف لبنى عامر بن لؤى وكان شهد بدراً ـ أن رسول اللهﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتى بجزيتها، وكان رسول اللهﷺ قد صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة، فوافت صلاة الصبح مع النبىﷺ ، فلما صلى بهم الفجر انصرف، فتعرضوا له فتبسم رسول اللهﷺ حين رآهم، وقال : «أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشىء؟» قالوا: أجل يا رسول الله،قال:«فأبشروا. . .» الحديث.

(٣) (نقول كما أمرنا الله) أى : نحمده، ونشكره ، ونسأله المزيد من فضله، انظر : تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى على صحيح مسلم ٤ / ٢٢٧٤ نقلا عن المنهاج للنووى .

(٤) « فتجعلون بعضهم على رقاب بعض » أى فتجعلون بعضهم أمراء على بعض انظر : تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى على صحيح مسلم ٤ / ٢٢٧٥ نقلا عن المنهاج للنووى، والحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح: كتاب الزهد والرقائق: باب منه ٤/٢٢٧٤، ٢٢٧٥ رقم (٢٩٦٢)، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٤ رقم (٣٩٩٦) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا واللفظ لمسلم .

(٥، ٦) الحديث بروايته أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب منه ٤ / ٢٢٧٥ رقم (٢٩٦٣) ، والترمذى فى : السنن : كتاب اللباس : باب ما جاء فى ترقيع الثوب ٤/٢١٥، ٢١٦ رقم (١٧٨٠) ، وكتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب (٥٨) ٤/ ٥٧٤ رقم (٢٥١٣) وعقب الترمذى على إحدى هاتين الروايتين بقوله : « هذا حديث صحيح »، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد : باب القناعة ٢ / ١٣٨٧ رقم (٤١٤٢) ، كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا، واللفظ لمسلم .

obeikandi.com

وعن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال : « إنى فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن، وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها »(١) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا »، قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ قال : «بركات الأرض . . . » الحديث (٢) .

وعن الحسن أنه قال : من نافسك فى دينك فنافسه، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره » (٣) ، « والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلى ذا، أو ذهبت إلى ذا »(٤).

أما إذا كان التنافس فى الدنيا من أجل إحراز سبق أو كفاية يستغنى بها المسلمون، كابتكار علمى، أو سبق اقتصادى، ولا يبقون عالة على أعدائهم، مع نية التقرب بذلك إلى الله، والطمع فى جنته ورضوانه، ومع الاهتمام بكل أعمال الآخرة الأخرى والمتمثلة فى النزول على حكم الله ـ عز وجل ـ فى كل ما يأتى المرء وما يدع، فذلك حسن ومحمود؛ لأنه لا يخرج عن أن يكون من عمل الآخرة .

وقد أمرنا الله ـ عز وجل ـ أن تكون الدنيا التى فى أيدينا موجهة نحو عمل الآخرة، وذلك فى قوله سبحانه : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الشهيد ٢ / ١١٤، ١١٥، وكتاب المناقب : باب علامات النبوة فى الإسلام ٤ / ٢٤٠، وكتاب المغازى : باب غزوة أحد، وباب أحد جبل يحبنا ٥/ ١٢٠، ١٣٢، وكتاب الرقاق : باب فى الحوض ٨/ ١٥١، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٤ / ١٧٩٥، ١٧٩٦ رقم (٢٢٩٦) ، وأحمد فى: المسند ٤ / ١٤٩، كلهم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ للبخارى .

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب الصدقة على اليتامى ٢/ ١٤٩ ، ١٥٠، وكتاب الجهاد : باب فضل النفقة فى سبيل الله ٤/ ٣٢، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة: باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ٢/ ٧٢٧ ـ ٧٢٩ رقم (١٠٥٢)، والنسائى فى السنن: كتاب الزكاة: باب الصدقة على اليتيم ٥/ ٩٠، ٩١ رقم (٢٥٨١)، والكبرى: كتاب الزكاة: باب الصدقة على اليتيم ٢ / ٤٨ رقم (٢٣٦٢)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الفتن: باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٣ رقم (٣٩٩٥)، وأحمد فى : المسند ٣/ ٧، ٢١، ٩١، كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه مرفوعا واللفظ للبخارى .

(٣، ٤) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ٣٠٤، ٣٠٧ .

ثالثا : أسباب تنافس الدنيا :

ولتنافس الدنيا أسباب توقع فيه، وبواعث تؤدى إليه، وأهم هذه الأسباب وتلك البواعث :

١ ـ الغفلة عن أن حظوظ الدنيا تجرى بالمقادير :

فقد تكون الغفلة عن أن حظوظ الدنيا تجرى بالمقادير من الأسباب المؤدية إلى تنافس الدنيا ؛ ذلك أن الله ـ عز وجل ـ قدر أزلا حظ كل واحد من هذه الدنيا، كما قال سبحانه : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا** ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

يقول العلامة ابن جرير الطبرى ـ رحمه الله : « وقوله: ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ يقول تعالى ذكره : بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولا، ومن أردنا صديقا، ونتخذ من أردنا خليلا، كما قسمنا بينهم معيشتهم التى يعيشون بها فى حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنيا، وهذا فقيرا، وهذا ملكا، وهذا مملوكا، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك، حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الزخرف : ٣٢] : فتلقاه ضعيف الحيلة، عيى اللسان، وهو مبسوط له فى الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان وهو مقتور عليه »[١] .

بل أبرز ذلك للملك الذى يتولى نفخ الروح فى كل إنسان بإذنه سبحانه حيث يؤمر : أن يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيًا أم سعيداً .

عن ابن مسعود ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:

« إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعيد، فو الذى لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه

(١) انظر : جامع البيان ٢٤/١١/٤١، وعنه نقل السيوطى فى : الدر المنثور ٧/ ٣٧٥ مع تقديم وتأخير .

obeikandi.com

الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[١] .

ومهما تبارى الناس ، وتسابقوا فلن يغيروا شيئا مما قضى الله وقدر كما قال سبحانه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيد ﴾ [الإسراء : ١٨] .

يقول ابن كثير ـ رحمه الله: « يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعم يحصل له، بل إنما يحصل لمن أراد الله، وما يشاء، وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات، فإنه قال : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيد ﴾ »[٢] .

ومن ينسى ما قدمنا من أن حظوظ الدنيا تجرى بالمقادير يبتلى لا محالة بداء التنافس فى الدنيا .

٢ ـ الغفلة عن حقيقة الدنيا :

وقد تكون الغفلة عن حقيقة الدنيا هى السبب فى الوقوع فى آفة تنافس هذه الدنيا؛ ذلك أن الله خلق الحياة الدنيا لتكون معبرا أو قنطرة يمر الناس من فوقها إلى الدار الآخرة، ولكنه سبحانه جعلها بما فيها من زخارف وزينات، وشهوات دار امتحان وابتلاء، من ركن إليها ونسى آخرته فقد ضيع نفسه، إذ ركن إلى حقير قصير، ومن انتبه إليها وأخذ منها بالقدر الذى يسلمه من شرها، ويوصله إلى آخرته سلم، ونجا، بل غنم .

فقال سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب بدء الخلق : باب ذكر الملائكة ٤ / ١٣٥، وكتاب الأنبياء: باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته وقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ٤ / ١٦١، ١٦٢، وكتاب القدر : باب منه ٨ / ١٥٢، وكتاب التوحيد : باب قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ٩ / ١٦٥، ١٦٦، ومسلم فى: الصحيح : كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه ٤ / ٢٠٣٦، ٢٠٣٧ رقم (٢٦٤٣) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب فى القدر ٤/ ٢٢٨ رقم (٤٧٠٨) ، والترمذى فى : السنن : كتاب القدر : باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم ٤ / ٣٨٨، ٣٨٩ رقم (٢١٣٧) ، وعقب الترمذى على حديثه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح»، والنسائى فى: السنن الكبرى: كتاب التفسير : باب قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيد﴾ ٦/ ٣٦٦ رقم (١١٢٤٦)، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فى القدر ١/ ٢٩ رقم (٧٦)، وأحمد فى: المسند ١/ ٣٨٢، ٤١٤، ٤٣٠، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا، واللفظ للبخارى .

(٢) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٣٧١ .

أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾ [آل عمران] . ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦) ﴾ [الكهف] . ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ [الملك] . ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧) ﴾ [النساء] . ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) ﴾ [التوبة] . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس] . ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ [هود] . ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾ [طه] . ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٠) ﴾ [القصص] . ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص : ٧٧] . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [فاطر : ٥] إلى غير ذلك من الآيات .

تلك هى حقيقة الحياة الدنيا، ومن غفل عن هذه الحقيقة، ركن إلى الحياة الدنيا وحرص عليها، وحمله هذا الركون وذلك الحرص إلى تنافس الدنيا .

٣ ـ العيش فى وسط حريص يتنافس الدنيا :

وقد يكون الوسط الذى يعيش فيه المرء : قريبا ـ وهو البيت ـ أو بعيدا ـ وهو المجتمع ـ من بين أسباب تنافس الدنيا ؛ ذلك أن المرء إذا وجد فى وسط شغله الشاغل التسابق والتبارى فى حيازة الدنيا، ولم تكن لديه الحصانة الكافية التى تحميه من التأثر بهذا الوسط، فإنه يبتلى ـ لا محالة ـ بتنافس الدنيا .

يقول الغزالى فى التحذير من صحبة الحريص على الدنيا المتنافس فيها : « وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل ؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا، فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا، ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة » [١] .

---

[١] انظر : إحياء علوم الدين ٢ / ٢٥١ .

٤ ـ حب الدنيا :

وقد يكون حب الدنيا من بين الأسباب المؤدية إلى تنافس الدنيا ؛ ذلك أن حب الدنيا إذا تمكن من القلوب حمل على التبارى والتسابق فيها من غير شبع أبدًا ، كما قال النبىﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب »[(١)] .

٥ ـ إقبال الدنيا :

وقد يكون إقبال الدنيا من بين الأسباب المؤدية إلى تنافس هذه الدنيا . ذلك أن الدينا إذا أقبلت، وغابت معايير وضوابط تعاطى هذه الدنيا تبارى الناس فيها، وتنافسوها خشية أن تضيع أو تنتهى كما يتصورون . ولقد نبَّه النبىﷺ إلى هذا السبب حين قال فى الحديث الذى ذكرناه آنفا: « . . . فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على مَنْ قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم »[(٢)] ، « أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم مِنْ زهرة الدنيا » ، قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ قال : « بركات الأرض. . . » الحديث[(٣)] .

٦ ـ الاستعلاء والتكبر فى الأرض بغير الحق :

وقد يكون الاستعلاء والتكبر فى الأرض بغير الحق مِنْ بين الأسباب المؤدية إلى تنافس هذه الدنيا ؛ ذلك أن المستعلى والمتكبر فى الأرض بغير الحق تسوِّل له نفسه الأمارة بالسوء، بإغراء من شياطين الجن والإنس،أنه لن يحتفظ لهذه النفس بما حصَّلته من علوٍّ وتكبُّر، ومنزلة فى نفوس الآخرين إلا بأن يكون صاحب النصيب الأوفى، والحظ الوافر من هذه الدنيا، وهذا بدوره يحمله على التسابق والتبارى فى طلب هذه الدنيا وهذا هو تنافس الدنيا.

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب ما يتقى من فتنة المال ٨ / ١١٥ من حديث ابن عباس، وابن الزبير، وأنس بن مالك مرفوعا، ومسلم فى: الصحيح : كتاب الزكاة : باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا ٢ / ٧٢٥، ٧٢٦ رقم (١٠٤٨ـ ١٠٥٠) من حديث أنس بن مالك، وابن عباس، وأبى موسى الأشعرى مرفوعا، والدارمى فى السُّنن : كتاب الرقاق : باب لو كان لابن آدم واديان مِنْ مال ٢ / ٣١٨، ٣١٩ من حديث أنس بن مالك مرفوعا، وأحمد فى : المسند ٣ / ٣٤١، ٣٤٧ من حديث أنس ابن مالك بمثله، ومن حديث جابر بن عبد الله بنحوه، ٥ / ١١٧ من حديث ابن عباس، ١٣١، ١٣٢ من حديث أُبى بن كعب، ٢١٩ من حديث أبى واقد الليثى .

(٢) الحديث سبق تخريجه .

(٣) الحديث سبق تخريجه .

٧ ـ طول الأمل :

وقد يكون طول الأمل من بين الأسباب المؤدية إلى تنافس الدنيا ؛ ذلك أن مَنْ يطول أمله فى الدنيا يحرص على أن يجمع من هذه الدنيا ما يغطى هذا الأمل، ولا يتأتى له ذلك إلا بالتسابق والتبارى فى طلب الدنيا، يعنى : التنافس فيها، ولعلَّ هذا هو سرُّ التحذير من الاسترسال فى طول الأمل ؛ إذ يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : خط النبىُّ ﷺ خطا مربعًا، وخط خطًّا فى الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارًا إلى هذا الذى فى الوسط مِنْ جانبه الذى فى الوسط، وقال : « هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به ـ أو قد أحاط به ـ وهذا الذى هو خارج : أمله، وهذه الخطط الصِّغار : الأغراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا » (١) .

وعن أنس رفعه : « أربعة من الشقاء : جمود العين، وقسوة القلب وطول الأمل، والحرص على الدنيا » (٢) .

قال ابن حجر : « ويتولد من طول الأمل : الكسل عن الطاعة، والتسويف بالتوبة، والرغبة فى الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة فى القلب » (٣) .

٨ ـ الغفلة عن الموت والدار الآخرة :

وقد تكون الغفلة عن الموت والدار الآخرة من أسباب الوقوع فى تنافس الدنيا ؛ ذلك أنَّ مَنْ بقى متذكرا أنه مهما طال به الأجل، وامتد به العمر، فإنه ميت لا محالة، وأنه راحل عن هذه الدار إلى الدار الآخرة حيث يلقى ربه، ويُسأل عن كل شىء، حتى عن النقير، والقطمير، بل وعن الكحل لم وضعه فى عينيه، والذر لم فتَّته .

يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة]. ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون]. ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر] . ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر]

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الرِّقاق : باب فى الأمل وطوله ٨/ ١١٠، ١١١، والترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع : باب (٢٢) ٤/ ٦٣٥، ٦٣٦ رقم (٢٤٥٤) وعقَّب الترمذى على روايته قائلا: «هذا حديث صحيح »، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الأمل والأجل ٢/ ١٤١٤ رقم (٤٢٣١)، والدارمىُّ فى: السنن : كتاب الرِّقاق : باب فى الأمل والأجل ٢/ ٣٠٤، وأحمد فى المسند ١/ ٣٨٥، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا، واللفظ للبخارى .

(٢) الحديث أورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الزهد: باب فى جمود العين وقسوة القلب ١٠/ ٢٢٩ وقال : « رواه البزار، وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف » .

(٣) انظر : فتح البارى ١١ / ٢٣٧ .

ويقول ﷺ : « يا معاذ، إن المرء يُسأل يوم القيامة عن جميع سعيه، حتى كحل عينيه، وعن فتات الطين فى أصبعه، فلا ألفينَّك يوم القيامة، وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك » (١) ، «ما فوق الإزار، وظلُّ الحائط، وخبز يحاسب به العبد يوم القيامة، أو يُسأل عنه » (٢).

وقال الصحابة يوما لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟

قال :« هل تُضارُّون فى رؤية الشمس فى الظهيرة، ليستْ فى سحابة ؟ » قالوا: لا، قال: « فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر، ليس فى سحابة؟» قالوا: لا، قال: « فو الذى نفسى بيده، لا تُضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما »، قال : « فيلقى العبد، فيقول : أىْ فُلْ ـ يعنى : يا فلان ـ ألم أكرمك، وأسوِّدك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع ؟ (٣) ، فيقول : بلى »، قال: « فيقول: أفظننت أنك ملاقىَّ ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثانى فيقول : أى فُلْ، ألم أكرمك وأسوِّدك، وأزوِّجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع ؟ فيقول : بلى أى ربِّ، فيقول : أفظننت أنك ملاقىَّ ؟ فيقول : لا، فيقول: إنى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثالث، فيقول له : مثل ذلك، فيقول : يا رب آمنتُ بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليتُ، وصمتُ وتصدَّقت، ويثنى بخير ما استطاع، فيقول : هاهنا إذا »، قال : « ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر فى نفسه : مَنْ ذا الذى يشهد علىَّ ؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه، ولحمه، وعظامه : انطقى، فتنطق فخذه،ولحمه، وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذى يسخط الله عليه » (٤) .

مَنْ بقى متذكرًا هذه الحقيقة فإنه يضع الدنيا فى يديه، وتحت قدميه، ولا يبالى أقبلت أو أدبرت .

---

(١) الحديث أورده ابن كثير فى : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٥٩ من حديث معاذ بن جبل مرفوعا به، وعزاه إلى ابن أبى حاتم .

(٢) الحديث أورده ابن كثير فى : تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٧ من حديث ابن عباس مرفوعا، وعزاه إلى أبى بكر البزار، وأنه ـ أى البزار ـ عَقَّبَ عليه قائلا : « لا نعرفه إلا بهذا الإسناد » .

(٣) تربع، يعنى تأخذ ربع الغنيمة، يقال: ربعتُ القوم أربعهم : إذا أخذتَ ربع أموالهم، يريد الحق سبحانه: ألم أجعلك رئيسا مطاعا لأن المَلِكَ كان يأخذ الربع من الغنيمة فى الجاهلية دون أصحابه انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/ ٦٠ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٩، ٢٢٨٠ رقم (٢٩٦٨) ، والترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع : باب (٦) ٤/ ٥٣٤، ٥٣٥ رقم (٢٤٢٨) وعقب الترمذى عليه بقوله : « هذا حديث صحيح غريب »، وأحمد فى : المسند ٢/ ٤٩٢ كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لمسلم .

أما مَنْ نسى هذه الحقيقة فإنه يقيم للدنيا وزنا، ويعمل لها حسابا ويبذل قصارى جهده فى تحصيلها ولو كان بالتسابق والتبارى فيها، ولعل هذا من بين الأسباب التى من أجلها دعا النبى ﷺ إلى دوام ذكر الموت والاستعداد للدار الآخرة قائلا : « أكثروا ذكر هاذم اللذات ـ يعنى الموت » [١] ، « الكيِّس مَنْ دانَ نفسه، وعَملَ لما بعد الموت، والعاجز مَنْ أتبع نفسه هواها، ثم تمنى على الله » [٢] .

٩ ـ الغفلة عن الآثار المترتبة على تنافس الدنيا :

وأخيرا قد تكون الغفلة عن الآثار المترتبة على تنافس الدنيا دنيوية أو أخروية، فردية أو جماعية، هى السبب فى الوقوع فى هذا التنافس، انطلاقا من مبدأ : أن مَنْ غفل عن الآثار الضارة المترتبة على أمر ما، ولم تكن لديه الحصانة الكافية التى تحميه من الوقوع فى هذا الأمر : فإنه يقع فيه لا محالة، ومن هنا كانت الدعوة إلى الفقه فى الدين على النحو الذى قدَّمنا غير مرَّة فيما مضى من آفات .

رابعا : آثار تنافس الدنيا :

ولتنافس الدنيا آثار ضارة، وعواقب مهلكة دنيوية وأخروية سواء على العاملين، أو على العمل الإسلامى .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء فى ذكر الموت ٤/ ٤٧٩ رقم (٢٣٠٧) وعقب الترمذى عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب »، من حديث أبى هريرة مرفوعا بهذا اللفظ، كما أخرجه على أنه جزء حديث طويل فى : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع : باب (٢٦) ٤/ ٥٥١ رقم (٢٤٦٠) وعقب عليه الترمذى بقوله : « هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه » من حديث أبى سعيد الخدرى بلفظ : دخل رسول الله ﷺ مُصَلاه فرأى أناسا يكتشرون (يعنى : تظهر أسنانهم من الضحك) ، قال : « أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى، الموتُ، فأكثروا من ذكر هاذم اللذات، الموت . . . » الحديث، والنسائى فى : السنن : كتاب الجنائز : باب كثرة ذكر الموت ٤/ ٤ رقم (١٨٢٤) والكبرى : كتاب الجنائز وتمنى الموت: باب كثرة ذكر الموت ١/ ٦٠٠، ٦٠١ رقم (١٩٥٠) من حديث أبى هريرة مرفوعا، وابن ماجه فى: السنن : كتاب الزهد: باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٢ رقم (٤٢٥٨) من حديث أبى هريرة مرفوعا، وأحمد فى : المسند ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣ من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا، وقوله « هاذم اللذات » بالذال المعجمة بمعنى قاطعها، أو بالمهملة من هدم البناء، والمراد الموت، وهو هادم اللذات، إمَّا لأن ذكره يُزهِّده فيها، أو لأنه إذا جاء ما يُبْقى من لذائذ الدنيا شيئا، والله تعالى أعلم، قاله الحافظ السيوطى فى : زهر الرُّبى ٤/ ٤ بهامش المجتبى .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع : باب (٢٥) ٤/ ٥٥٠ رقم (٢٤٥٩) وعقب الترمذى عليه بقوله : « هذا حديث حسن »، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٣ رقم (٤٢٦٠)، وأحمد فى : المسند ٤/ ١٢٤، كلهم من حديث شداد بن أوس مرفوعا بهذا اللفظ .

ودونك طرفا من هذه الآثار، وتلك العواقب :

أ ـ على العاملين :

فمن آثار تنافس الدنيا :

١ ـ القلق والاضطراب النفسى :

وذلك أن مَنْ سيطرت عليه الدنيا، وابتلى بجمعها، والتنافس فيها فيصاب لا محالة بالقلق والاضطراب النفسى، خوفا من أن تضيع عليه هذه الدنيا، بل خوفا من ألا يحصِّل الكثير منها، ويحق فيه قول الحقِّ ـ تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] . ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن]

٢ ـ إهدار حقوق الأخوة الإسلامية :

ذلك أن تنافس الدنيا سيجر صاحبه حتما إلى الظنون الكاذبة وما تؤدى إليه من تتبع للعورات، والغيبة، والنميمة، والسخرية والاستهزاء والمزايدة على أخيه المسلم فى بيع أو شراء أو نكاح، بل ربَّما تصل الأمور إلى حد الكيد والتآمر، وانتهاك الأعراض، وسفك الدماء، وسلب الأموال لئلا يسبق فى تحصيل الدنيا، وهذا شر .

٣ ـ الانصراف عن أعمال الآخرة :

ذلك أن مَنْ جعل الدنيا أكبر همِّه، ومبلغ علمه، وسعى إلى سبق ومباراة الآخرين فى تحصيلها ينصرف لا محالة عن أعمال الآخرة، وربما لا يجد من الأوقات والتفكير ما يعينه على إتيان هذه الأعمال .

٤ ـ كراهية الموت والدار الآخرة :

ومن انصرف عن أعمال الآخرة، واشتغل بالدنيا، وبالتسابق والتبارى فى تحصيلها يكره الموت والدار الآخرة ؛ لأنهما يقطعانه عمَّا هو مشتغل متعلق متلذذ به، فضلا عن أنه لم يقدِّم شيئا يسعى إليه فى الآخرة .

ولعل هذا هوما فقهه ذلك العالم الجليل أبو حازم الأعرج وقد سأله سليمان بن عبد الملك قائلا : يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت ؟

فأجاب : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فكرهتم الانتقال من العمران إلى الخراب[١] .

ب ـ على العمل الإسلامى :

وأمَّا آثار تنافس الدنيا على العمل الإسلامى فأهمها :

١ ـ الفرقة والتمزق :

ذلك أن التنافس على الدنيا يؤدى إلى الخصومات، وهى بدورها تؤدى إلى العداوة، والكراهية، والبغضاء، وحينئذ لا يكون وحدة ولا اجتماع ولاترابط، وهذه هى قاصمة الظهر حقا .

٢ ـ طول الطريق مع كثرة التكاليف :

ذلك أنه حين ينتهى الأمر بالعمل لدين الله إلى حد الفرقة، تفسح الطريق أمام العدو فيمتطى الظهور، ويطوّق الأعناق، ويشدد الخناق، فتعظم التكاليف، وتطول الطريق، وينتفش الباطل، وينتشى، ويعود من جديد لبذر بذور الشرِّ والفساد .

ولقد أشار النبى ﷺ إلى كلِّ هذه الآثار سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى، ولكن فى إجمال حين قال : « . . . فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بُسطتْ على مَنْ قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم »[٢] ، «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا . . . » الحديث[٣] .

خامسا : علاج تنافس الدنيا :

وإذ قد فرغنا من تعريف تنافس الدنيا، وتحديد مظاهره وموقف الإسلام منه، والأسباب المؤدية إليه، والآثار المترتبة عليه، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى، فإن من السهل بعون الله وتوفيقه رسم طريق العلاج، وتتلخص هذه الطريق فى :

١ ـ اليقين التام بأن حظوظ الدنيا تجرى بالمقادير، وأنه مهما أتعب المرء نفسه، وتكالب على الدنيا، وتبارى مع الآخرين فى تحصيلها أو نيل حظٍّ منها، فإنه لن يصل

---

(١) انظر : تهذيب تاريخ دمشق للشيخ عبد القادر بن بدران ٦/ ٢٢٠، ٢٢١ .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٥١ .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص ١٥٢ .

إلى شيء فوق ما قسم الله، إذ قد يقود اليقين صاحبه إن كان صادقا أن يمشى الهوينا، وأن يأخذ بالأسباب البشرية فقط، ويدع ما قسم الله له، والله سبحانه لا يضيع أجر المحسنين .

٢ ـ والبصيرة التامة بحقيقة الدنيا، وأنها ليست غاية أو هدفا، وإنما هى وسيلة لغاية وهدف، وعليه فلا يصح أن يقف عندها طويلا أو يركن إليها، ويسابق الآخرين فى جمعها وتحصيلها .

٣ ـ وأن ينزع المسلم نفسه أو أن ينتزعه الآخرون من الوسط الحريص على الدنيا المتنافس فيها، ثم يلقى بنفسه فى وسط مَنْ يريدون الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا ينسون نصيبهم من الدنيا، فلعل ذلك يسهم فى اقتلاع الدنيا من القلوب ويجعلها فى الأيدى، وبذلك يقضى على سبب رئيسى من أسباب تنافس الدنيا .

٤ ـ وأن يوقن أن المرء مهما حصَّل من الدنيا فلن يشبع أبدا، إذ لو كان لابن آدم واديان منْ مال، لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على مَنْ تاب، كما أخبر النبىﷺ فى الحديث الصحيح .

٥ ـ وأن يعدِّل من نظرته إلى إقبال الدنيا بحيث لا يراها مجالا للتنافس، وإنما يراها فتنة يخاف على نفسه منها كما قال سبحانه : ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)** ﴾ [الأنبياء] . ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)** ﴾ [الأنعام] .

٦ ـ وأن يداوى المرءُ نفسه من آفات الإعجاب بالنفس، والغرور والتكبر، فيقضى بذلك على باب كبير يمكن أن يؤدى إلى التسابق والتبارى فى تحصيل الدنيا.

٧ ـ وأن يخفِّفَ من طول الأمل ما استطاع ذلك سبيلا ، و اضعًا فى حسابه أنَّ طول الأمل لا يليق بعبد ضعيف جاهل لا يدرى متى الرحيل عن هذه الدار، ولا ما يكون بعد هذا الرحيل .

٨ ـ وأن ينعم النظر فى كتاب الله وسنة وسيرة نبينا محمدﷺ ، ليرى ماهية وحقيقة الدنيا فى جنب ماهية وحقيقة الدار الآخرة، ولعل هذه الرؤية تولد لديه قناعة ويقينا أن الدنيا أقل وأحقر من أن يتكالب الناس عليها، ويتنافسوها .

٩ ـ دوام تذكر الموت والدار الآخرة، وحاله عند سكرات الموت، وعند دخوله قبره، وقد انقطع عنه كل شيء، وأوله هذه الدنيا، تلك التى أفنى عمره فى طلبها، والتكالب عليها، والتنافس فيها، ثم حاله عند السؤال، وما يكون بعده من نعيم

وراحة، أو شقوة وتعب، وحاله عند البعث والنشور، والحشر والعرض على الله، إلى غير ذلك مما يكون يوم القيامة حتى يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، ولعل تذكر ذلك يخوِّفه من داخله، ويحمله على أن يخرج حب الدنيا من القلب، ويجعلها فى اليد، وينسيه التسابق والتبارى فى طلبها وحيازتها .

١٠ ـ طول النظر فى سيرة سلف هذه الأمة، وكيف كان تواصيهم فيما بينهم، وأخذهم أنفسهم بمنهج : أن الدنيا أقل وأحقر من أن يفنوا أعمارهم فى طلبها والتنافس فيها لذاتها مستخدمين معها قول الله ـ عز وجل : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [القصص : ٧٧] .

هذا الحسن يقول : « مَنْ نافسك فى دينك فنافسه، ومَنْ نافسك فى دنياك فألقها فى نحره » [١] .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، يقدم عليه أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج، فيعرفه عمر، وأبو حازم لا يعرفه، فيقول له عمر : ادن منِّى يا أبا حازم، وحين يدنوا منه يعرفه، فيقول له : أنت أمير المؤمنين ؟ فيقول عمر : نعم، فيقول : ألم تكن بالمدينة بالأمس أميرا ؟ قال : نعم، قلتُ : كان مركبك وطيئا، وثوبك نقيّا، ووجهك بهيّا، وطعامك شهيّا، وحرسك كثيرا، فما الذى غيّر ما بك، وأنت أمير المؤمنين ؟ فبكى، ثم قال : يا أبا حازم، كيف لو رأيتنى بعد ثالثة فى قبرى، قد سالت حدقتاى على وجنتى، وانشق بطنى، وجرت الديدان فى بدنى، لكنت أشد إنكارا لى من يومك هذا، أعدْ علىَّ الحديث الذى حدثتنيه بالمدينة، قلتُ : نعم يا أمير المؤمنين، سمعتُ أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن بين أيديكم عقبة كؤودا مضرسةً، لن يجوزها إلا كلُّ ضامر مهزول »، فبكى، ثم قال : تلومنى يا أبا حازم أن أضمر نفسى لتلك العقبة ، لعلِّى أنجو منها ، ما أظننى بناجٍ منها [٢] .

وقال أبو حازم هذا : « نعمة الله فيما زوى عنِّى من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطانى منها، إنى رأيته أعطاها قوما فهلكوا »، « رأيتُ الدنيا شيئين : شيئا منها هو لى فلن أعجله قبل أجله، ولو طلبته بقوة السموات والأرض،وشيئا منها هو لغيرى، فذاك ما لم أنله فيما مضى، ولا أرجوه فيما بقى، يمنع الذى لغيرى منى، كما يمنع الذى

---

(١) الأثر سبق تخريجه ص ١٥٣ .

(٢) انظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ / ٢١٩ .

لى من غيرى، ففى أىِّ هذين أفنى عمرى ؟ » ، « الناس عاملان : عامل فى الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على مَنْ يخلف الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفنى عمره فى بغية غيره، وعامل فى الدنيا لما بعدها، فجاءه الذى له من الدنيا بغير عمل، فأصبح ملكا عند الله، لا يسألُ الله شيئا فيمنعه » .

ومِنْ قبل كتب عمر بن الخطاب ﷺ لسعد عندما فتح الله عليه : أما بعد، فأعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا فى أسمالهم [١] ، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا، ولم يفتنوا بها، أرغبوا فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا، فإذا كانت الدنيا تبلغ مِنْ مثلك هذا فى كبر سنِّك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فمن يلزم الحدث فى سنِّه، الجاهل بعلمه، المأفون [٢] فى رأيه، المدخول فى عقله، إنا لله وإنا إليه راجعون » [٣] .

إلى غير ذلك من أخبار هؤلاء فى هذا الباب .

ولعل طول هذا النظر يولِّد فى النفس معنى الاقتداء والتأسى أو على الأقل المحاكاة والتشبه .

١١ ـ دوام التذكير والتبصير بالدنيا، والتنافس فيها، فإن الإنسان كثيرا ما ينسى وعلاج هذا النسيان، إنما يكون بالتذكير والتبصير، ولهذا يقول الحقُّ ـ تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات] ، ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾

[الأعلى]

١٢ ـ دوام مراقبة الله فى الدخول والخروج، فى السرِّ والعلانية، فى كل الظروف وفى سائر الأحايين، فإنها إن كانت صاقة تحجز عن كل شر، وتدفع إلى كل خير، ثم يكون مع المراقبة، المشارطة، والمحاسبة، وتصحيح الخطأ بالإنابة والتوبة النصوح، ولعل هذه الخطوات بمرور الزمن، مع الجدية وأخذ الأمر بحزم وقوة، تفيد فى القضاء أو على الأقل التخفيف من تنافس الدنيا .

---

(١) أسمالهم: جمع سَمَل وهو: الخَلَق من الثِّياب . انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ١٨٣ .

(٢) المأفون : ناقص العقل، يقال : رجل أفين، ومأفون : ناقص العقل . انظر : النهاية فى غريب الحديث ١ / ٣٦ .

(٣) انظر هذه الأخبار فى : تهذيب تاريخ دمشق ٦ / ٢٢٦، ٢٢٧ .